الأبحـــاث والدراسات 73

التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جـريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : منطقة نجران : دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام ــ ق ١٥هـ / ق ٧ ــ ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١ هـ/ ٢٠١٩م)، (الجزء الأول)، ص ص ١٦٣ – ١٩٢.



الدراســـة الثالثـــة

التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الثالثة: التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة.

أولاً- أصل التسمية :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقّين: شق لغوي، وآخر نسبي. فالنّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال: نجر النجار العود، أي قطعة ونجره. ويقال: النَّجْرُ عمل النجار ونحته، والنَّجْرُ أيضاً هو نحت الخشبة، ونجارة العود، وما أنتجت منه عند النجر، والنجّار صاحب النجر وحرفته النجارة[١].

والنجران: هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب[٢] فيقول الشاعر:

صَبَبْتُ الماء في النَّجرانِ صَبّاً   تَركْتُ البابَ ليس له صريرُ [٣]

ويقول ياقوت الحموي: إن النجران: هو خشبة يدور عليها رتاج الباب[٤] ويدلل على ذلك شعراً فيذكر البيت التالي:

وصَيْتُ الباب في النَّجرانِ حتى   تَركْتُ البابَ ليس له صريرُ [٥]

والمقصود بالرتاج، أي الإغلاق، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقاً، وأنشد الشاعر قوله:

---

(١) جمال الدين أبوالفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه : علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ١٤، ٥١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، جـ ٥، ٢٦٦.

(٥) المرجع السابق.

ألم تَــرَني عــاهــدْتُ ربــي وإنــنــي لَــبــيْن رِتــاج مُــقْــفَــلِ ومَــقــام [١]

وفي الحديث: إن أبواب السماء تفتح ولا تُرْتَجُ، أي لا تغلق، وفي الحديث أيضاً: جعل ماله في رتاج الكعبة، أي فيها، فكنى عنها بالباب [٢].

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها، وإنما صار إلى موضع نجران؛ لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به[٣]، وفي رواية أخرى ورد اسم نجران بن زيد بن سبأ [٤]. وهكذا نجد أن تسمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد تكون مكملة بعضها لبعض، فإذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل الباب (أو) رتاجه، فهذا صحيح لأن موقع نجران تُعدُّ فعلاً شبيهة بالخشبة التي تدور عليها رجل الباب، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله، وهذا الذي أكسبها ميزة مهمة جعلتها محط التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شبه الجزيرة العربية الأخرى، كما أن موقعها أيضاً أكسبها قوة اقتصادية نتيجة لتنوع محصولاتها الزراعية، ولأن سوقها التجارية تأتي ضمن الأسواق النشطة والمهمة في شبه الجزيرة، وإذا نظرنا إلى الشق النسبي من الاسم نجده جاء أيضاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى لعدد من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن سبأ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه أسهم باستقراره في هذا الوادي في اجتماع هذه القبائل هناك وأسهم -بالتالي- في نهضتها الحضارية.

ثانياً- تاريخ نجران في العهد النبوي:

في أعقاب الهدنة التي عقدها رسول الله ﷺ مع قريش أثناء صلح الحديبية [٥]، أخذ يبعث سفراءه إلى الأمصار في الشرق والغرب وإلى الشمال والجنوب يدعوهم إلى الإسلام[٦]، ومن هذه الأمصار التي بعث إليها، مدينة نجران، ففي سنة ١٠هـ (٦٣١م) بعث إلى نجران سرية بقيادة خالد بن الوليد قوامها (٤٠٠) رجل، في ربيع الآخر من

---

(١) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٥، ١٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، مرجع سابق، جـ ٥، ٢٦٦.

(٤) المرجع السابق؛ ولمزيد من التفصيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب. انظر: عبدالملك بن قريب الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ٥٦ وما بعدها.

(٥) للمزيد عن صلح الحديبية، انظر: عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (بيروت: دار القلم، د.ت)، جـ ٣، ٣٢١ ـ ٣٢٩؛ محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٥م)، جـ ٢، ٥٧١ ـ ٥٧٣.

(٦) عن سفارات الرسول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمراء الأمصار والمناطق المجاورة انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ١٣٥ وما بعدها.

السنة المذكورة، وكانت السيادة بنجران بيد بني الحارث بن كعب[١].

وقد أوصى خالداً بأن يقيم بينهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا أقاموا بينهم ليعلموهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم، مثل: التوحيد والصلاة والصيام، كما جاء في الكتاب والسنة وإن لم يجيبوا حاربهم[٢].

وقد وصلت سرية خالد إلى نجران، وصنع معهم كما أمره رسول الله ﷺ، فآمنوا، ولا سيما بنو الحارث بن كعب، وتبعتهم القبائل الأخرى، إلا النصارى فإنهم ظلوا على ديانتهم، وأقام المسلمون بينهم يعلمونهم الإسلام وشرائعه، وأخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم[٣].

كان بنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال وأعدُّوا له العدة، فلماذا هذا التغير في الموقف. ونرى أن السبب في ذلك يعود لعاملين رئيسين. **الأول سياسي**، فالدولة الإسلامية في هذه الفترة التي نتحدث عنها، وهي السنة العاشرة للهجرة، قد أصبحت قوة مرهوبة الجانب ولا سيما بعد فتح مكة والقضاء على قريش، فوجد أهل نجران أن من العبث محاربة المسلمين، فدخلوا الإسلام حقناً لدمائهم. **أما العامل الثاني فأسبابه دينية**، والمعروف أن الديانة اليهودية ثم المسيحية قد أخذتا طريقهما إلى اليمن ولا سيما مدينة نجران التي توجد بها كعبة نجران، والكثير من الكنائس والأديرة، فكان بها عدد كبير يعتنقون المسيحية، ولا شك أن لهؤلاء تأثيراً على القبائل الوثنية، فحتماً إذا ما قارنا بين عبادتهم للحجارة وبين ما عليه النصارى من ديانة، وقد كانت هذه الفرصة مواتية عندما جاءت الدعوة إلى الإسلام، التي تدعو إلى عبادة إله واحد، فكانت إيذاناً بتحول نجران إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى، فدخلوا الإسلام في غضون أيام قلائل.

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعه أهل نجران بالدخول في الإسلام، بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ[٤]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يخبره من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة،

---

(١) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٣، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٨، ١٨٩.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ٩٤؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، د. ت)، جـ ١، ٣٨٤.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار سويدان، د. ت)، جـ ٣، ١٢٦؛ غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١ ـ ق ٤ هـ/ ق ٧ ـ ق ١٠م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ ١، ٦٣؛ حسين علي المسري، "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، ع ٩، (القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٩٢م)، ٤١ ـ ٩٠.

(٤) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧؛ ابن جريس، غيثان بن علي. نجران، مرجع سابق، ٦٤.

وبصحبته وفد من مسلمي نجران[١].

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ مقابلة وفدهم، فشكلوا الوفد من أشرافهم، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران[٢]، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم: قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذو الغصة[٣]، ويزيد بن عبدالمدان الحارثي، ويزيد بن المحجل، وعبدالله بن قريظ الزيادي، وشداد بن عبدالله القناني، وعمرو بن عبدالله الضبابي[٤]، فلما رآهم الرسول ﷺ قال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب"[٥]، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدونها، أو بهما معا.

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه، ثم قالوا: "نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد"[٦] ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات، وهم لا يردون عليه، وفي الرابعة قال يزيد بن عبدالمدان: "نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا"[٧]. قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ: "لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلي فيكم أنكم أسلمتم، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم"[٨].

---

(١) محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ١، ٣٣٩. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٦، ١٢٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧.

(٣) سمي بذي الغصة، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم، وكان فارساً من ذوي الرباع؛ أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر: ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤١.

(٤) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧؛ وللمزيد انظر: ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٣٣٩؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق ٤٢ وما بعدها؛ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ١٨٨؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٦٥.

(٥) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ١٢٧.

(٦) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٢٤٠.

(٧) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠ – ٢٤١، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ويقصد بالزجر هنا، نوع من الكهانة والعيافة، والزجر للطير هو التيمن والتطير منها والتفاؤل بها. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ٦، ٢١، مادة (زجر). وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام، ويتضح من سياق الحديث أنها كانت موجودة عند أهل نجران.

(٨) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠، ٢٤١.

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران، ومن العبارات التي دارت بينهما أن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة. ولا ندري ما السبب، فإن كان غضب الرسول ﷺ لأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ الذي كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، وإن كان غضبه لأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات، ليكون ردهم عن سؤاله إجابتهم إياه -ﷺ- أربع مرات أيضاً، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم-ﷺ- ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول، فيما كان الرسول ﷺ ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك(١).

ونجد ابن هشام، والطبري، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ(٢)، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ، وربما أن هذه المصادر شكّت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو أنها تحاشت ذكره، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية، وذلك اللقاء، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران(٣). كما لم يشر ابن سعد في (الطبقات) إلى هذا الحوار، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز، فأعطى كل واحدٍ منهم عشر أواق، ما عدا قيس بن الحصين، إذ أعطاه اثنتي عشرة أوقيةٍ، وجعله أميراً عليهم(٤). أما ابن الأثير الذي يعتمد في نقله على الطبري، فقد-تجنب- أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد(٥).

وإذا كان الطبري، وابن هشام، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران(٦) فقد واصل ثلاثتهم بقية الحوار، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ رداً فيه عنف وحِدَّة، فقال يزيد بن عبد المدان: " أما والله يا رسول

---

(١) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، ٢٤١؛ أبوالفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبوملحم وآخرين، (بيروت: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، مج ٣، جـ ٥، ٨٨، ٨٩.

(٣) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)، جـ ٢، ٧٩؛ عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، جـ ٢، ٤٧٣.

(٤) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، جـ٢، ١٩٩، ٢٠٠.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٥، ٨٩.

الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم؟ فقالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم"[١].

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس، والصبر في الحروب، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه، وكذلك اشتهروا بالكرم، والعدالة، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم، وكان الرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب، فواصل الحديث معهم بقوله: "بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً. فقال رسول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: يا رسول الله، كنا نغلب من قاتلنا، أنا كنا بني عبيد، وكنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم"[٢].

وفي نهاية المقابلة مع الرسول ﷺ عاد وفد الحارث بن كعب إلى بلادهم نجران في أواخر شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة[٣]. كما رأى رسول الله ﷺ أن أهل نجران في حاجة إلى من يبصرهم بتعاليم الإسلام ويفقههم في أمور الدين، ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة من التعاليم وكيفية أخذ الصدقات، وكان الأوفق أن يبعث إليهم من يقوم بهذه المهمة فاختار عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي الأنصاري، ويرافقه شخص من بني النجار، وكان عمرو حين بعثه رسول الله ﷺ في السابعة عشرة من عمره[٤]، متمتعاً بالذكاء وسعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه، وقد زوده رسول الله ﷺ بكتاب إلى أهل نجران وهو عقد بين رسول الله ﷺ وبينه، يتعهد فيه عمرو أن يعمل بما جاء في هذا الكتاب. ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من التشريعات والتنظيمات تتصل بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وواضح أن الهدف من هذه التنظيمات، أن تكفل حياة كريمة آمنة لمجتمع قبائل نجران[٥].

ويبدو أن عمرو بن حزم كان وثيق الصلة برسول الله ﷺ فكان يطلعه حتى على أموره الخاصة، فقد بعث إليه ذات مرة رسالة يخبر فيها رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سَمّاه "محمداً" تيمناً برسول الله، وكنّاه بأبي سليمان، فرد عليه رسول الله ﷺ بقوله: بل كنِّه بأبي عبدالملك، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو عليها[٦].

---

(١) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٧.

(٢) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، ٥٣٨، ٥٣٩؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٩.

(٥) انظر نص هذا الكتاب عند: ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤١، ٢٤٢؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٣، ٤٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٠٧، ٢٠٨.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد[١] وإنما حث خالد بن الوليد على أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران، وقد فعل ذلك، واستمر يدعوهم إلى الإسلام مدة ستة أشهر، لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنيتهم[٢]، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي طالب إلى اليمن، وأمره بأن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سريته ـ يقصد علي بن أبي طالب ـ فليتركه[٣]. وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله، وعند وصوله حدود بلاد اليمن، جمع رجاله فصلى بهم، ثم حثهم على قتال المشركين، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن، ثم واجه بعض القبائل اليمنية، فأنذرهم، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم[٤]، فكتب علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه، وخرّ ساجداً شكراً لله، ثم جلس وقال: " السلام على همدان " ثلاث مرات[٥].

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب، بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام، فنجحت هذه السرية في إدخال همدان سلماً في الإسلام.

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى في السنة العاشرة أيضاً، وكانت المهمة تلك المرة إلى أهل نجران[٦] ليجمع الصدقات من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة.

الأشراف، مرجع سابق، جـ ١، ٥٣٨، ٥٣٩؛ علي، جواد، المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٩١؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢١١؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧١.

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٦، ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٩، ١٣٠، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٥؛ علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٩ وما بعدها.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٣٢؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ،مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٥، قال الرسول ﷺ لعلي بن أبى طالب: (مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل...) ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٥، ٩٣.

(٤) للمزيد عن قبيلة همدان، انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ٢، ٥٠٩؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)، ٣٩٢ ـ ٣٩٥، ٤٧٥؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م)، ٩٦ ـ ١٠٥.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق،جـ٢، ٤٧٥.ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق،مج٣، جـ٥،٩٤.

(٦) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٧؛ ابن خياط، خليفة. تاريخ ابن خياط، مرجع سابق، ٩٧؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٠٥؛ كان الرسول ﷺ حريصاً على

أما نصارى نجران الذين ظلُّوا على مسيحيتهم[١]، ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ كتاباً موجهاً إلى أساقفتهم، قال فيه: "بسم الله، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران: بسم الله، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أنتم أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام "[٢]. ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بيّن لهم ما يجب عمله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن امتنعوا عن هذا أيضاً فليس بينهم وبين المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين.

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران علموا وتأكدوا من جدِّية الرسول ﷺ في مطلبه، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، ووصلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر[٣].

وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد وفد نصارى نجران، فمنهم من قال: إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم[٤] ومنهم من قال: إن عددهم ستون[٥]،

تزويد عماله بالتعليمات الشرعية الأساسية التي يسيرون عليها، فنجده يزود معاذ بن جبل ببعض تلك النصائح والتعليمات عندما اختاره عاملاً على اليمن، فيقول له: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)؛ ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج٣، جـ٥، ٩٠؛ وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السراة إلى نجران حتى دخل صنعاء، انظر: عمر بن علي الجعدي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ١٧، ١٨؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ١٤٤؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧٢.

(١) يذكر أن المسيحية لم تنتشر في أهل نجران خاصة، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً، وهذا يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية، وربما أنها استخدمت السريانية أو العبرية. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني رسول، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ٢٥٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨١؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٢٥٤.

(٣) ابن سعد، محمد، الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، إشراف وتحقيق: لجنة تحقيق التراث، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ٢٥٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧.

(٥) المسري، حسين علي. "نجران ودورها"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق،ع٩، ٦١؛ ابن جريس، غيثان. نجران،مرجع سابق، جـ١، ٧٥.

وآخرون قالوا أربعون[١]، فيما يشير ابن خلدون إلى أن عددهم سبعون نصرانياً[٢].

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد، غير ذي أهمية، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد، مثل أميرهم العاقب، واسمه عبدالمسيح وهو من قبيلة كندة، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة[٣]، وأخوه كرز بن علقمة من قبيلة بني الحارث[٤]، وصاحب إدارة شؤونهم المالية، السيد ابن الحارث [٥] وأخوه أوس، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلى هذا الوفد [٦].

ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك، حيث ترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه:

" كان أسقفهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وله فيهم قدر، فعثرت به بغلته[٧]، فقال أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ فقال أبوالحارث بل تعست أنت، أتشتم رجلاً من المرسلين؟ إنه الذي بشر به عيسى، وإنه لفي التوراة، قال: فما يمنعك من دينه؟ قال: شرّفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وموّلونا وقد أبوا إلا خلافه[٨]، فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به[٩] ومضى يضرب راحلته ويقول:

إِلَيْكَ يَغْدو قَلِقاً وضينُها مُعْتَرِضاً فِي بَطْنِهَا جَنِينُها
مُخَالِفاً دِينَ النّصَارى دينُهَا [١٠]"

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد

---

(١) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٨٣؛ انظر أيضاً: أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، (بيروت:دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، جـ ١، ٣٧٦.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٧.

(٣) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أبوحارثة بن بكر بن وائل، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٤) ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(٥) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معاً، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٦) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات. مرجع سابق، ٣٥٧؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧؛ ابن كثير، أبوالفداء اسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(٧) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ١٦٥.

(٨) يقصد الروم، انظر: ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦.

(٩) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٤، ١٦٥؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(١٠) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٥.

في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام، وذلك لما لهم من صلات سياسية، وعقدية واقتصادية مع امبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة، وفي بلاد نجران خاصة، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم، والبقاء تابعين لهم سياسيا وعقديا، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم: " شرفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه"[١].

وهذا كرز بن علقمة، نراه يطلع على ضلال أخيه، أبي الحارث، ومخالفته الفطرة السليمة، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبوالحارث بن علقمة، ما جعلهم يتركون دين النصرانية ويدخلون دين الإسلام، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلتهما الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد، وكان عليهم ثياب الحبرة [٢]، وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم، فقال الرسول ﷺ :دعوهم[٣]. ويذكر ابن سعد أنهم جاؤوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان: " ذلك من أجل زيكم هذا " فانصرفوا ذلك اليوم، وجاؤوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان[٤].

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود، والتقوا ببعض زعمائهم، مثل: الكاهن اليهودي، المسمى ابن صوريا، وكعب بن الأشرف وقالوا لهم: هذا الرجل ـ يقصدون الرسول ﷺ ـ عندكم منذ كذا وكذا قد غلبكم، احضروا امتحاناً له غداً. معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الريادة والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ.

وعند مقابلتهم الرسول ﷺ دارت بينهم مناقشات عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم رضي الله عنهما، وحول الإسلام، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فقال السيد والعاقب:" إنا قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد، قالا فمن أبوعيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى

---

(١) المرجع السابق. وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم، انظر:عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ٤٩، علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٣، ٤٤٩ وما بعدها.

(٢) الحبرة: يقال:إنها ضرب من بُرد اليمن منمر الشكل، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن، ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٣، ١٦، ١٧.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨٢؛ ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٧.

(٤) المرجع السابق، ٣٥٧، ٣٥٨.

يأمره ربه"(١)، ثم قال: هو عبد الله ورسوله، فقال أسقفهم أبو الحارث: "تعالى الله عما قلت، وهل رأيت ولداً من غير ذكر(٢)". ويورد ابن كثير بعض التفصيلات عن هذا اللقاء، ويشير إلى أن الرسول ﷺ صمت ولم يجبهم عندما سألوه من هو أبو عيسى، ويستطرد ابن كثير قائلا: "فأنزل الله في ذلك قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها..."(٣) حيث ردّ الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾(٤). إلى قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾(٥)، ويذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات، أنه لما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من المباهلة(٦)، وملاعنتهم، قالوا للرسول ﷺ: "يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه"(٧).

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون تلك المناقشات التي دارت مع الرسول ﷺ، ويشاهدونها عندما طلب نصارى نجران من الرسول ﷺ بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها، بل كانوا فرحين بما وصل إليه الأمر، ويودون هلاك الطائفتين، وفي ذلك يقولون: "والله ما نبالي أيهما أهلك الله: الحنيفية أو النصرانية". ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاتهم، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم(٨).

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٧٥، وللمزيد، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧. كما أن هناك بعض الاختلافات البسيطة في ذكر الرواية، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢؛ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق: محمد مرسي عامر، (القاهرة: دار المصحف، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، جـ١، ١٧٧، ١٧٨.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١. انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق، جـ١، ١٧٨.

(٦) المباهلة، جاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعن، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه، وعليه بهلة الله أي لعنته، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: من ولي من أمور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله، فعليه بهلة الله؛ أي لعنته. والمباهلة هي الملاعنة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٢٢.

(٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٧- ٣٧٨؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ١٧٨.

(٨) والنصارى أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين، قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾. سورة المائدة، آية: ٨٢.

وبعد ذهاب نصاري نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقالوا: "يا عبدالمسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم - يقصد عيسى رضي الله عنه - ولقد علمتم أنه ما لاعَن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فواعدوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم"(١).

ويورد اليعقوبي أن وفد نجران قبلوا المباهلة مع الرسول ﷺ، ولما جاء اليوم الثاني، جاء رسول الله ﷺ آخذاً بيد سبطيه الحسن والحسين، تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب عليهما السلام، وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدّر والحلي، وقد التفوا بأبي الحارث، فقال أبوالحارث: "من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه، وهذه ابنته، وهذان ابناه، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه، ثم ركع، فقال أبوالحارث: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة، فقال له السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام" (٢).

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسول ﷺ وقال أسقفهم أبوالحارث للرسول ﷺ: "لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا"، فقال رسول الله ﷺ إذاً أبيتم المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم، فرفضوا، فقال الرسول ﷺ إذاً أحاربكم، فقالوا: "نصالحك على ألا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة (٣)، ألفاً في صفر وألفاً في رجب".

فقبل رسول الله ﷺ منهم، وصالحهم على ذلك وكتب لهم كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصلح، وقد أشارت مصادر التاريخ إلى هذا الصلح، فبعضهم نقله نصاً بما يعتقد أنه ورد عن رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء اليعقوبي، والبلاذري، وابن سعد(٤)، فيما نقله آخرون من المصادر دون التزام منهم بنقل نص هذا الصلح. وإنما اكتفى بنقل ما ورد في

---

(١) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦- ٣٧٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢- ٨٣. ويورد الزمخشري أن أباالحارث، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال: (يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة)، انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق،جـ١، ١٧٨. ويذكر البلاذري أنه: قال: (أحدهما لصاحبه - يقصد نصارى نجران - اصعد الجبل ولا تباهله، فإنك إن باهلته بؤت باللعنة، قال: فما ترى؟ قال:أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله؛ البلاذري، فتوح، البلدان، مرجع سابق، ٧٥- ٧٦؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠.

(٣) الحلة تساوي الأوقية، ووزن الأوقية أربعون درهماً من الفضة. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣؛ البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦، ابن سعد، محمد بن سعد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨. للمزيد من التفصيلات، انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٧٥ - ١٧٩.

هذا الصلح من الشروط، ومن هؤلاء ابن الأثير، وابن خلدون[١].

ففي هذا الصلح أقر رسول الله ﷺ ما اتفق عليه نصارى نجران بدءاً من دفعهم الحلل في شهري رجب وصفر من كل عام، وهي ألفا حلة، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة، وأن يساعدوا المسلمين إذا ما وقعت حرب باليمن، بأن يمدوهم بالأسلحة فقط دون الاشتراك معهم في الحرب، وأن ينصحوا المسلمين، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره. وحرم عليهم التعامل بالربا، فمن عمل به بعد هذا الاتفاق، فقد نقض الصلح، فتكون ذمة محمد ﷺ منه بريئة[٢].

لقد ارتد البعض من أهل نجران عن الإسلام في عهد رسول الله ﷺ واتبعوا الأسود العنسي، الذي ثار في اليمن وادعى النبوة، فقد كان مشعوذاً بارعاً في الكلام [٣]، فانخدعت به بعض قبائل اليمن ونجران، وكانت بداية ظهوره وادعائه النبوة في السنة الحادية عشرة من الهجرة، بعد حجة الوداع لما علم بمرض رسول الله ﷺ، وهو في طريقه إلى المدينة[٤]، وقد تعاطف أهل نجران معه وأيدوه، فلما علم بنو الحارث بن كعب وقبائل مذحج دعوه إلى بلادهم، فقدم إليهم على رأس قوة عسكرية بلغ عددها خمسة آلاف مقاتل جميعهم من قبائل حمير[٥]، وتمكن من دخول نجران، وكان عمرو بن حزم عاملاً عليها من قبل رسول الله ﷺ فخرج منها متوجهاً إلى المدينة[٦].

وقد مكث الأسود العنسي أياماً بنجران ثم تحول عنها إلى صنعاء، لأنها أكثر حصانة من نجران، ورحل معه ستمائة فارس من بني الحارث بن كعب مؤيدين إياه ومناصرين، وقد واجه مقاومة عنيفة من الأبناء وهم المسلمون من الفرس[٧]، ومن قبائل اليمن التي تمسكت بإسلامها فكذبوا مزاعمه، وقد قاد هذه المقاومة شهر بن باذان، ابن والي اليمن السابق، ولكن الأسود العنسي كان أقوى منه فقضى عليه، واستولى على صنعاء[٨].

---

(١) ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٢) انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب . تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣.

(٣) انظر: الطبري، محمد بن جرير.. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥، ٢٣؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت (باريس: ١٩١٦م)، و(صور مكتبة المثنى، بغداد، د. ت)، جـ ٥، ١٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢١٥.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣؛ نزار عبداللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ١١٥.

(٥) الطبري، محمد بن جرير تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠ ـ ٢٣٥، محمد عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ٥٧٤.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥ ـ ١٨٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢١٥؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٢.

(٧) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥؛ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، تاريخ الردة، جزء مقتبس من كتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الخلفاء، اقتبسه وحققه: خورشيد فاروق أحمد (الهند: معهد الدراسات الإسلامية، د. ت)، ١٥١، ١٥٢.

(٨) البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ١١٣؛ المقدسي، مطهر بن طاهر. كتاب البدء والتاريخ، مرجع سابق، جـ٥، ٢٢٩؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣١١، ٣١٢.

كما استفحل أمر الأسود باليمن واتسع نفوذه فشمل نجران والطائف وصنعاء وحضرموت وعدن وامتد نحو الشرق حتى شمل البحرين وأجزاء أخرى من الخليج العربي، وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم(١)، فكانت حركة الأسود العنسي خطراً جسيماً على الإسلام والمسلمين باليمن، ربما لأنها حدثت في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض، هذا فضلاً عن الأوضاع المضطربة داخل اليمن، فهناك من لم يدخل الإسلام أو دخله ثم ارتد، وهناك من ظل على إسلامه، وهؤلاء يشكلون العدد القليل إلى جانب أهل الذمة. في ظل هذه الظروف السيئة التي تمر بها الأمة الإسلامية قامت حركة الأسود العنسي، إلا أن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح، والحديث عنها سوف يبعدنا عن دائرة البحث، ولكن أشرنا إليها بقدر ما كان لها من صلة بمدينة نجران(٢).

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة، ثم وجه نداء إلى المسلمين المحاصرين بنجران وإلى قادة المسلمين في اليمن يحثهم على الصبر وتوحيد الصفوف ليتمكنوا من قهر عدوهم، والطبري ينقل لنا نص هذه الرسالة: " إلى أهل نجران، إلى عربهم وساكن الأرض من غير العرب، فاثبتوا وانضموا إلى مكان واحد" (٣). ويعني بساكن الأرض من غير العرب المسلمين، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء(٤).

وكان لهذه الرسالة التي وصلت إليهم من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على نفوسهم، إذ أعادت إليهم الثقة والطمأنينة، كما أزالت الخوف والرعب من قلوبهم فتحركوا موحدي الهدف ضد الأسود العنسي، فتمكنوا من دحره والقضاء على حركته.

ثالثاً - تاريخ نجران في العهد الراشدي:

لم يُقْضَ على الردة في نجران بموت الأسود العنسي، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ، وخلال عهد الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١١ - ١٣هـ (٦٣٢ - ٦٣٤م) وذلك أن بعض بني الحارث بن كعب في نجران انضموا إلى الأسود العنسي، وبعد مقتله، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردتهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٢.

(٢) للمزيد انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠، ٢٣١؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٨٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٢.

(٤) الأبناء: من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري، وأطلق عليهم هذا الاسم -فيما بعد- لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا، ثم صار أبناء أبنائهم يطلق عليهم الأبناء، لأنهم من أبناء أولئك الفرس، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، انظر: ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٠٨، فعل (بني).

إلى الإسلام. وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي[١]، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدأ أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام، فاستجابوا وأسلموا دون قتال، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبي بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين[٢].

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة، وغيرها من نواحي بلاد اليمن، خصوصاً عندما سمع بظهور الأسود العنسي، ولكن عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعودة بعضهم إلى الحجاز، وكان جرير بن عبدالله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة، فرده الخليفة أبوبكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه، من بني بجيلة، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات، جنوب الطائف، فيقاتل من ارتد عن الإسلام، ثم يواصل سيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره. ويؤكد الطبري ذلك بقوله: " فخرج جرير فنفذ ما أمره به أبوبكر، فلم يقر له أحد إلا رجال عدة قليلة، فقتلهم وتتبعهم، ثم كان وجهه إلى نجران، فأقام بها انتظاراً لأمر أبي بكر رحمه الله " [٣].

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحثَّ من بقي على إسلامه على التمسك بشرع الله، ويقاتل معه من خرج عن ملة الإسلام، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي[٤].

أما المرتدون في بلاد اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن، فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد

(١) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٣ وما بعدها، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي)، بينما أسمته كتب الطبقات مسروق العكي، ولم تذكر (الأصفر)، ولعل الاسمين لشخصية واحدة، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في عدة مواطن من بلاد اليمن راجع: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٠، ٣٢١ ـ ٣٢١، ٣٢٨، ٣٢٦.

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبي بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٣ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٢، ٤٩٣؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٥ ـ ٣٣٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٢٩ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٣؛ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، جـ١٩، ١٤٤.

(٤) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق، جـ٢، ص٤٩٣؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ١٩، ١٤٤.

السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك معظم مسلمي نجران بعقيدتهم، وإصرارهم على محاربة المرتدين، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران يدعى عبدالله بن عبدالمدان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يطالبه فيه بأن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك[١]. بل نجد كتاباً آخر يرسله أبوبكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء، فيذكرهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فارتدوا عن دين الله، ثم كان في نهاية كتابه: " وقد منعني أن أسلط عليكم ابن عبدالمدان فيمن قبله انتظاراً، وما والله محدث مما لست بآيس منه، فإن تراجعوا الإسلام ترجعوا ديناً طالما نفعكم الله تعالى به، وإن تأبوا فإن لله تعالى حزباً منصوراً، وجنداً غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا "[٢]. ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الراشد الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيرة للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إنذارهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبدالمدان.

وقد وضح بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فجهز عدداً من الجيوش التي اتجهت إلى نواح عديدة من البلاد، وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية، وقد أرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء[٣]. ويشير ابن خلدون إلى رحلة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمره "بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره، ثم ينفذ إلى عمله، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك، ... وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع إليه، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة..."[٤].

---

(١) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤١، ٣٤٢، وكان لعبدالله بن عبد المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي، إذ وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم؛ شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن محمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصور من النسخة الأصلية المطبوعة عام ١٨٥٣م في بلدة كلكتا بالهند)، مج ٢، جـ ٤، ٩٨.

(٢) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤٢، وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين وإعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام، انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣، ١١٤؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٥ وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق،جـ٢، ٤٩٢ وما بعدها.

(٣) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام،انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٤٩، وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٩، ٣٢٠ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، جـ ٢، ٤٩٤.

يفهـم من هذا القول: إن المهاجر خرج من الطائف حتى وصـل نجران، ولم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسـعة التي يصل طولها -تقريباً- إلى ثمانمئة كيل، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصـنعاء، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثيرين؛ لأن مـن بقي من المسـلمين هناك مـع بعض قادة المسـلمين في تلك النواحي أمثـال: جرير بن عبدالله، ومسـروق العكي وغيرهما، استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين[١]، ويعـد مجـيء المهاجر بـن أبي أمية ومـن معه من المسـلمين بمثابة توطيد لأوضـاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وتأمين لها، وبخاصة في بلاد صنعاء وما حولها، ولو أن الوضع لا يزال خطراً هناك، لما كان الخليفة الصـديق أمر المهاجـر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال المرتدون بها يشكلون خطراً وتهديداً على الإسلام والمسلمين هناك[٢].

ومع نهاية عهد الخليفة أبي بكر الصـديق رضي الله عنه وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣ ـ ٢٣هـ (٦٣٤ ـ ٦٤٣م) استقر الإسلام ديناً ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شـمالاً حتى بلاد نجران وصـعدة وصنعاء جنوبا، بالإضافة إلى الأجـزاء التهامية المنخفضـة غرباً عن تلك المواطن السـروية الجبلية[٣]، وتقاطر سـكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبوبكر الصديق، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق، وإلى بلاد الشـام ومصـر والمغرب والأندلس[٤]، وقد تناثرت الأخبار في المصـادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرة إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصـة في المشـرق والمغرب في العصر الإسـلامي، ولم يقتصر دورهم

(١) انظـر: الطـبري، محمد بـن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سـابق، جـ٣، ٣٢٨ ـ ٣٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسـماعيل، البداية، مرجع سـابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦. ويذكر ابن سـمرة الجعدي، والكلاعي أن المهاجر خرج حتى وصـل نجران، فوجد كلاً من جرير بن عبدالله ومسـروق العكي فضـمهما ومن معهما من المسـلمين إلى جيشه، ثم قسم جيشـه في نجران إلى قسـمين؛ فرقة تتولى القضـاء على فلول الأسود العنسـي المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجـر نفسـه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان على رأسـها أخوه عبدالله بن أبـي أمية، وكانت مهمتها تطهـير منطقـة نجران وتهامـة اليمن من المرتدين، وقد نجحـوا في ذلك، انظر: الجعدي، عمـر بن علي، طبقات فقهاء اليمن، مرجع سابق، ٣٥ ؛ الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) للمزيـد عـن الردة في بلاد كندة، انظـر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سـابق، جـ٣، ٣٣٠، ٣٤٢؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٤ ـ ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما اسـتعجم من أسـماء البلاد والمواضـع، تحقيق: مصـطفى السـقا، (بيروت:عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مج١،جـ٨، ١- ٩؛ الحمـوي، ياقوت. معجم البلدان، مرجع سـابق، جـ٢، ٦٣، ٢٠٢، ٦٤- ٢١٨ ؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صـدر الإسلام، مرجع سابق،٩٩-١٤١.

(٤) ابـن حزم علي. جمهرة أنسـاب العـرب، ٢٩٤، ٤٤٦، ٤٤٧؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صـدر الإسـلام، مرجع سـابق، ١٤٥ ـ ٢٠٦؛ غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ ـ ق١٠هـ/ ق٧ ـ ق١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، جـ١، ٥٧ ـ ٩١.

على الجهاد العسكري فحسب، بل تعدى هذا المجال، فنجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على إسهاماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى، ومن يتتبع آثارهم وإسهاماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا يكفيها عدد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم[١].

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها، فللأسف الشديد، لم تفصح المصادر أو تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الأحداث أن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خصوصاً بعد وصول المهاجر بن أبي أمية، والتقائه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة، وجهوده في توطيد الأمن هناك، تلك الجهود التي على إثرها ترك جرير بن عبدالله البجلي والياً على نجران، وذهب في طريقه إلى كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق. ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فكان أكثر استقرارا بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية، ومن عماله في نجران، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبي بكر وعمر، فكان مسؤولا عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند، وقد استدعاه عمر بن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوبه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه[٢]، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب[٣].

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة خلال الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٣ ـ ٣٥هـ (٦٤٣ ـ ٦٥٥م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٥ ــ ٤٠هـ (٦٥٥ ــ ٦٦٠م) وبين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه فإننا نجد أن سكان نجران، أسوة بغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، قد انخرطوا -على وجه التأكيد- في هذه الفتن، ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي، ومنهم من

(١) الحديثي، نزار. أهل اليمن، مرجع سابق، ١٥٠ ـ ٢٠٢؛ عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن. ط٢، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٨٨، ٨٩؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، (القاهرة: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ١٧١ ـ ١٧٧.

(٢) من الشكاوى التي قُدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران، فعزله من منصبه ثم أعاده بعد مسألته، انظر: ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٥٣.

(٣) المرجع السابق؛ وللمزيد انظر: الهادي يحيى الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ١، ٩٣، ٩٤؛ شرف الدين، أحمد حسين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مرجع سابق، ٢١، ٢٢.

كان ضدهما، ونال سكان بلاد السراة الممتدة منطقتهم من الطائف حتى صنعاء، ما نال غيرهم من هذه الفتنة، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[١].

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان، وأدت إلى استشهاده رضي الله عنه ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة التي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها، إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء.. بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في بطون هذه المصادر لانشغال مصنفيها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة ـ دمشق ـ الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانيةً ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها. وقد أوضحت المصادر حينئذ سبب بعث بسر إلى تلكِ النواحي، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة علي بنً أبي طالب تلقى خطاباً من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتلة عثمان بن عفان، لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين[٢].

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم للخليفة علٍي بنِ أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام ٣٥هـ (٦٥٥م) عبيد الله بن عباس ليكون والياً عاماً على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها[٣]، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب، وعندما عرف والي اليمن عبيد

(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر: القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦هـ)، ٦١ ـ ١١٠؛ نصر المنقري بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي،١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ١١٧، ١٧١، ١٩٠، ٢٢٧، ٢٦٢، ٤٤٣، ٥١٢؛ أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة، د. ت)، (مصور من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالدكن- الهند، د. ت)، ٥٣ ـ ٦٩، ١٤٠.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ـ ٢٠٠؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦١، ٦٥؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٦، ٨٤؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٣، ٩٤.

الله بن عباس، بخبرهم استدعاهم وتحاور معهم فبيّنوا له أنهم ما زالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله، إما أن يطلقهم، وإما فلا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب، فرفض عبيد الله، فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس[١].

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي[٢] الذي نصحه بأن يكتب لهم كتاباً، فإن استجابوا كان بها، وإلا أرسل إليهم جيشا، فكتب الكتاب وأرسله مع رجل من همدان[٣]. فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمسكا بموقفهم وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم أميراً من قبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف رجل، وقيل أربعة آلاف مقاتل، وأوصاه بأن يَذهب إلى الحجاز، ثم بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن، ويكون حازما شديدا على من يتصدى له[٤]، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي بن أبي طالب، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدومه خرج هارباً إلى الكوفة، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبدالله بن عبدالمدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبدالمدان الحارثي، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة من الهجرة[٥].

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبدالله بن عبدالمدان فقتله، وقتل ابناً له يسمى مالكاً[٦]، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً: "يا إخوان النصارى، أما والذي لا إله غيره، لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن

(١) ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤.

(٢) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة، وما زال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن، لهذا استشاره الخليفة، انظر تفصيلات ذلك في: المرجع السابق.

(٣) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة للخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، منذ أن ذهب إليهم في عهد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى وفاته، وبقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده،عاتق بن غيث البلادي، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ١٢١، ١٢٢؛ عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م)، ٣٣٢، ٣٣٣.

(٤) انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ وما بعدها؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ـ ١٩٤؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩.

(٥) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ١٩٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ـ ١٩٤؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤ وما بعدها.

(٦) وقد أنشد بعض بني عبدالمدان:

فلولا أن أخاف صيال بسر بكيت على بني عبدالمدان

ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨.

قتلاكم "[١]. ثم واصل مسيره إلى بلاد صنعاء يلاحق الموالين للخليفة علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم. ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرطاة الخليفة علي بن أبي طالب بعث جارية بن قدامة السعدي في ألفين من الرجال، ووهب بن مسعود الخثعمي بالعدد نفسه، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصروا بسر، وهرب ابن أبي أرطاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبدالرحمن بن ملجم[٢].

أما النصارى في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددةٍ، فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله فبعثوا وفدا إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم الخليفة أبا بكر سمع منهم وأقرّهم على تلك العهود، وكتب لهم كتابا قال فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب، إلا يسكن بها دينان، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم، وعاريتهم، وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق" [٣].

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبابكر أقرّهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية، اليهودية والنصرانية، وبقائها في جزيرة العرب، عندما روى لهم الحديث القائل: " أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب" [٤]، ولكنهم الآن محميون

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٩؛ وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن أعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله: (يا إخوان اليهود والنصارى، أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب، لأرجعن عليكم بالخيل والرجال، ثم لأكثرن فيكم القتل، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر)، انظر: ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٨، ١٩٩؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٦، ٥٧، ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٥٤، ٢٥٥؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢١، ٣٢٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٤) في حديث رواه أبوعبيدة عن الرسول ﷺ أنه كان آخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال: (أخرجوا اليهود من الحجاز، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)، أبوعبيدالقاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ١٤٤، ١٤٥، وفي رواية أخرى: (لا يبقين دينان في أرض العرب)، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

تحت مظلة الاتفاقية التي عقدوها مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم، ولهم الأمان[١].

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد، ولكنه لا يستطيع فعل شيء، لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ التي جددها الخليفة أبوبكر، وفي عام ٢٠هـ (٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ [٢]، فأجلاهم من نجران انطلاقاً من المبدأ القائل "من نقض عهداً فلا ذمة له" [٣]، بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق، وآخرون اتجهوا إلى الشام، فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم (النجرانية) نسبة إليهم[٤].

ويبدو أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبوبكر فقال: " أما بعد، فمن مرّوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم. أما بعد، فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً، من بعد أن يقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين، ولا معتدى عليهم" [٥]. وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار، دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود[٦].

---

(١) المرجع السابق، ٧٧؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣١٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٢) ويذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب لهم كتاباً مطولاً قال فيه: (... من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم... أما بعد، فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد...)، انظر نص الكتاب كاملاً: ابن سلام، أبوعبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ١٤٥؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣١٨، حاشية (١).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٤، ١١٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ٧٧، ٧٨؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩٢، ١٩٣، ويذكر أحد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق، وكانوا كالأتباع لهم. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

(٤) يعقوب إبراهيم أبويوسف، كتاب الخراج، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٢هـ)، ٧٤؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق،٧٣، ٧٤.

(٥) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧، ابن سلام، أبوعبيد القاسم . كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٩٣- ١٩٤.

(٦) المرجع السابق.

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري، إذ يذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضاقت عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريباً من أربعين ألفاً وشاع بينهم التباغض والتحاسد، فرفعوا أمرهم إلى عمر وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم، فاغتنم عمر هذه الفرصة، ولا سيما أنه كان متخوفاً منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجلاء ولكنه رفض وأصر على إجلائهم[١].

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم، ولأنهم قد أعطوا العهود على أنفسهم، والتزموا بعدم نقضها، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم، تقيداً بوصية الرسول ﷺ "لا يبقين دينان في ارض العرب"[٢]. ومن يدقق النظر في هذا الحديث يجد أن عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران، ويهود خيبر، في حين أنه كان في بلاد اليمن، وهجر، واليمامة، وأرض البحرين، بعض النصارى، واليهود، وأيضاً المجوس، حيث كانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام، كذلك لم يتعرض أبوبكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب.

"وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا، كما ورد في كتبهم، أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه، فقالوا "هذا الذي نجد في كتبنا أنه يخرجنا من أرضنا"[٣].

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق، قد عاد بعضهم إلى أرض نجران، ربما في زمن الدولتين: الأموية والعباسية، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد)، ومما يؤكد هذا القول، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، واستقراره في صعدة وإشارتها إلى أنه بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالاً فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة، وكما تشير المصادر فإن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٨.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٣، ٣٦٢.

عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية، وقد عقد معهم عهداً يضمن لهم البقاء في نجران وأن لهم ما تحت أيديهم من العقار والأملاك على أن يدفعوا على ذلك ضريبة[١].

رابعاً - العهدان الأموي والعباسي وما بعدهما :

١- الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامة، وبلاد نجران بخاصة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولا إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية، إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها:

تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية التي تحولت أجزاؤها جميعها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقرين للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقيام على خدمتهما وإسباغ الحماية عليهما، تحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم، فترتفع بذلك مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات.

أما أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة، فقد أصبحت منذ عصري بني أمية وبني العباس، وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة، هامشية تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية نفسها والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، وذلك يعود -في رأينا- إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع -أحياناً- إلى صعوبة التضاريس، ما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات التي تعد نجران جزءاً منها.

---

(١) وللمزيد من التفصيلات عن علاقة الهادي إلى الحق بنصارى نجران، انظر: علي بن محمد بن عبيد الله العباسي، سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت:١٩٨١م)، ١٠١؛ البلادي، عاتق. بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مرجع سابق، ٢٤١ ـ ٢٤٧.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة، فإننا نجد أن الأمر يزداد غموضا، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية، باستثناء بلاد الحجاز إلى حدٍّ ما، فإذا تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها، فإننا نقابل بصمت المصادر -تقريبا- عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون -دائما وأبدا- إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، ويقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا في الحواضر الكبرى، فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس، ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن دونوا شيئا في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران، فذلك لا يكون إلا اعتمادا على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالبا ما تكون هذه المصادر نادرة أو معدومة، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التاريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد يقرأ الباحث دراسات عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهرا من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصرين الأموي والعباسي، فإننا نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومَرّ المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث، دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو بتفصيل، فإذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدّنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعينين من قبل خلفاء بني أمية، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [1].

أما بالنسبة ما يخص نجران - موضوع هذا البحث - فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري، ليشمل تاريخها السياسي

---

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، جـ٢، ١٦٦، ١٦٧؛ صالح أحمد العلي، (إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى)، مجلة أبحاث، س ٢١، جـ١، ٢، (١٩٦٨م)، ٣ - ٥٧.

Hugh. Kennedy , ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44 (1981) , 26 – 38, S.B. Samadi "Some Aspects of the theory of State and Administration Under the Abbasids " Islamic culture , 29 (1955) ,120 – 150 , Elie Salem, " Muslim Administration " Islamic Culture 33 , (1959),19 – 30.

أيضـاً، فبدءاً من العصـر الأموي لا نكاد نجد في طيات المصـادر على اختلافها وتنوعها ما يشـفي غليل الباحث من المعلومات المتصـلة بهذا الإقليم ودوره السياسـي والحضاري، وكل مـا نعثر عليه لا يزيد على شـذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضـوع الثورات وحركات العصـيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية على وجه العموم، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصـة ونعني بها الحجاز واليمن، التي تأتي نجران وما يجاورها ضـمنها، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد سـاد هذه المنطقة ما سـاد غيرها من مدن الحجاز الكبرى وحواضرها من فتن سياسية، وتأثرت بها [١].

ونجد بعض الولاة العباسـيين وعناصـر أخرى غير علوية أثارت بعض الاضـطرابات السياسـية في بـلاد الحجـاز واليمن، فقد عـزل الخليفـة المأمون حمدويه بن عيسـى بن ماهان عن بلاد اليمن، واسـتناب عنه في حكمه عيسـى بن يزيد الجلودي[٢]، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صـده عنها والاسـتقلال بهـا، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على نجران وصعدة، ودخل صـنعاء وقبض على ابن ماهان وسـجنه وسـيطر على البلاد، وعهـد إلى عمال من قبلـه بحكم مخاليف اليمن، ومن بينها نجران، ثم عاد إلى العراق مروراً بالحجاز، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الإفريقي الشـيباني[٣]، ولكن الاضـطرابات عادت من جديد في نجران وتهامة اليمن، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسـي للتفكير في فصـل نجران وتهامة اليمن عن نجدها، ووضـع والٍ مسـتقل عليها، يضـبط أمورها، وينشـر الأمن والاسـتقرار في ربوعها، فوجد ضالته في أحد قواده ويدعى محمـد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية نجـران وتهامة وما يتبعها [٤] لتبدأ منذ تلك الفترة النزعة الانفصـالية تسري في أنحاء شـبه الجزيرة العربية، فبعد أن ظلت المنطقة المذكورة طوال عهد الرسـالة والخلافة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجري (التاسـع الميـلادي)، تابعـة بالكليـة للخلافـة الإسـلامية التي عمـدت إلى تقسـيمها إلى عدد من الولايات ليسـهل الإمسـاك بزمامها مثل: الحجاز، واليمن، واليمامة، والبحرين، نجدها منذ السنوات الأولى من القرن الثالث حتى العاشر الهجريين (التاسع حتى السادس عشر الميلاديين)، تتأثر بالنزعة الاسـتقلالية التي سـرت في غالبية أصـقاع العالم الإسـلامي المترامية الأطراف الذي صـعب على الخلافة العباسـية أن تسيطر سيطرة مركزية عليه، فبدأت تسـمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسـياً، وتابعة لها اسمياً وروحياً، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصـة الضـعف الذي أصاب نظام الخلافة العباسي في عصـره الثاني، وما صـاحبه من تردي شخصيات الخلافة، فاسـتقلوا سياسياً وإدارياً

(١) لمزيد من التفصيلات، وانظر ابن جريس، نجران، جـ١، ص ١٠١ وما بعدها .

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٨، ٤٤٩؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ٩٩.

(٣) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٩.

(٤) الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف من تاريخ اليمن، مرجع سـابق، ١٠٥، ١٠٦؛ شـرف الدين، أحمد حسـين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨ وما بعدها.

وبشكل كامل عن العباسيين. وعلى أي حال فقد تأثرت نجران، بل عموم أجزاء الجزيرة العربية بكل تلك التيارات السياسية، فنشأت بها دولة بني زياد - كما أسلفنا - في نجران وتهامة اليمن وما تبعها بدءاً من عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) وهي أول دولة مستقلة تنشأ هناك بعد انفصال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسي[١]، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)[٢]، ثم الدولة الزيدية في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م)[٣]، ثم الدعوة الإسماعيلية الأولى وكان علي بن الفضل القرمطي الحميري، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر المذهب الإسماعيلي هناك[٤].

٢- أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي:

ورغم سريان النزعة الانفصالية في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، إلا أن الأمور لم تهدأ، ولم تستقر أحوال تلك الدول الوليدة، بل تتابعت حركات

(١) تذكر المصادر أنه في عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) شق أهل نجران وتهامة اليمن عصا الطاعة على الخليفة المأمون ١٩٨-٢١٨هـ (٨١٣-٨٣٣م)، فبعث إليهم الأمير محمد بن عبدالله بن زياد وقلده أعمال تلك البلاد لكي يؤدب العصاة، فذهب ابن زياد واستطاع القضاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاستقلال بتلك النواحي، واختط مدينة زبيد وأسس دويلة سميت (الدولة الزيادية) استمرت في عقبه مدة قرنين، وتم القضاء، عليها عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) على يد بني نجاح. وللمزيد انظر: الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٨١-٨٩؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨، ١٨٩.

(٢) دولة بني يعفر تعد ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام، ثم صنعاء مقراً لها، ومؤسسها إبراهيم بن يعفر الحوالي الحميري، وقد استمرت هذه الدويلة تحكم صنعاء وما جاورها من البلدان إلى عام ٣٩٣ هـ (١٠٠٢م)، وللمزيد انظر: الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ١٠٤ وما بعدها، ١٦٦-١٦٨؛ الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٧، ١٠٨، الفقي، عصام الدين، اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٩٠-٩٧.

(٣) هذه الدولة نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنشأها الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صعدة فبويع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن، وقد استطاع الإمام الهادي مد نفوذه إلى صنعاء وإلى عدة مواطن من بلاد اليمن، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكم البلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية، وللمزيد انظر: شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥-٢٦٢؛ الفقي، عصام الدين. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٤) الإسماعيلية هي الباطنية نسبة إلى إسماعيل الإمام، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد أن يظهر يوماً ما وحلول الذات الإلهية فيه، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذي هو مقصود في المعنى الظاهر. وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضل، ومنصور بن حسن قد أرسلا في عام ٢٩١ هـ (٩٠٣م) من قبل عبدالله المهدي لنشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، وقد خرجا حتى وصلا إلى اليمن، ثم افترقا، وبدأ كل واحد منهما يبذل جهده لنشر هذا المذهب، لكن علي بن الفضل ضل عن الخطوط العامة لمذهب الإسماعيلية واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشد من مذهب الإسماعيلية، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم عدداً من مدن اليمن، ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا له حتى تم القضاء عليه عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) وبالتالي تمت ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلية حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام ٤٣٧ هـ (١٠٤٥م) فأعاد مذهب الدعوة الإسماعيلية تحت مظلة الدولة الصليحية. انظر: الجرافي، عبدالله بن عبد الكريم، المقتطف، مرجع سابق، ١١١-١١٤؛ عبدالواسع بن يحيى الواسعي بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، (صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١٦٩-١٧١، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

التمرد والعصيان، وشاعت الحروب، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) وتأسيس دولته الزيدية نجده، ومن جاء بعده من الأئمة الزيدية، يسعون إلى مد نفوذهم إلى صنعاء جنوباً، ونجران شمالاً، وقد وجدوا في بعض النجرانيين من يعضدهم، ويقف إلى جانبهم ويسهل لهم مهمة السيطرة على بلاد نجران، ومنذ ذلك الوقت وعلى مر العصور الإسلامية الوسيطة تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران، وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قبلهم ليتولوا أمرها، ولكنهم ما إن تنفر جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية، وينجحون في إخراجهم وأنصارهم منها [١].

وهكذا ظلت الأمور في نجران طوال القرون الإسلامية الوسيطة: قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية، وأهل نجران، ورغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران، وإحراز الزيديين عدداً من الانتصارات ضدهم، الاّ أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [٢].

إن ما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات في هذه الدراسة[٣]، كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس، ثم ظهور الدويلات المستقلة، وما تبع ذلك من اضطرابات، ليست إلا نماذج مختصرة، لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها، وبعد أن صارت أجزاؤها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام، ثم بغداد في أرض العراق، وبالتالي فإن عامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء شبه الجزيرة العربية مثل : الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفاً، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كانا أفضل حالاً من القرون التالية لذلك، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله

---

(١) للمزيد من التفصيلات انظر، اسحاق بن يحيى الصنعاني . تاريخ صنعاء، تحقيق : عبد الله الحبشي، (صنعاء : مكتبة السنحاني، د. ت) ٦٦، ٧٤، ٨٣، ١٠٤ وما بعدها، سليمان بن يحيى الثقفي . سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢ — ٥٦٦)، تحقيق عبد الغني عبد العاطي (القاهرة : عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٢م)، ٢٥، ٤٠ — ٤٤، ٦٠ وما بعدها، أبو فراس بن دعثم . السيرة الشريفة المنصورة (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ٥٩٣ — ٦١٤ هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) . جـ١، ٣٣ وما بعدها . جـ٢، ٥٠٤ وما بعدها .

(٢) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها، انظر: العلوي، علي بن محمد العباسي. سيرة الهادي إلى الحق، مرجع سابق، ٧٢ وما بعدها؛ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى. تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٧٩ ـ ١٨١، الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٦٥، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) للمزيد انظر صفحات سابقة في هذه الدراسة، وكذلك الدراسة الرابعة في هذا الكتاب.

إلى كل من الحجاز واليمن وغيرهما، بل كانت عنده القدرة على تأديب من يخرج عما رُسم له من قِبل الخليفة وعزله، ولكن منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نجد معظم بلاد الجَزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق، بل يظهر من لديهم أطماع لتكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن.

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل: نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه، فإن الأوضاع تزداد غموضاً عند مدوني التراث، فهم لا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مَرّت عليها، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز [(١)]، وحتى هذه فإن الغموض يكتنفها، ولعل هذا الإهمال والغموض يعود إلى انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها، حتى صاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك الرحالة ابن المجاور، من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً، فيقول: " يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشايخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير به عليهم ويحكم فيهم... " [(٢)].

وهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي الوسيط، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة عند القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية التابعة للخلافة والموجودة في بعض مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية.

وإن ظهرت دويلات هنا وهناك، فإنها لم تكن تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فإن هذا الإنضمام يكون بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها، وأحياناً تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر ولهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها. وبالتالي فالمؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة، فهم قد ركزوا جل اهتمامهم على ما يجري في بلاط القوى السياسية الكبرى في العراق وفارس ومصر والشام، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان.

(١) الثقفي، سليمان بن يحيى. سيرة الإمام أحمد بن سليمان، مرجع سابق، ٣٢، ٤٠ وما بعدها، ابن دعثم، أبو فراس. الإمام عبد الله بن حمزة، مرجع سابق، جـ١، ٦٤، ٢٠٥، ٤٠١، جـ٢، ٥٢٨، ٧٩٨ – ٨٠٠، ٩٠٦، ٩٤٢.

(٢) ابن المجاور، جمال الدين، صفة بلاد اليمن ومكة، مرجع سابق، جـ١، ٢٦.